هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل

لقد طفت موجات الهجرة اليهودية، التي تتوالى تباعاً من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل، على غيرها من أحداث. ويكمن سر الاهتمام بها في المخاطر المترتبة على سيل الهجرة ذاته، والذي من الممكن ان يضع المنطقة تجاه احتمالات مفتوحة، بما فيها احتمال قيام اسرائيل بحملات قمع واسعة ضد الانتفاضة، او التفكير، مجدداً، بترحيل الفلسطينيين من المناطق المحتلة.

وتأتي هذه المخاطر في ظل عوامل دولية عدة تجعل من هجرة اليهود السوفيات هجرة موجّهة ضد الشعب الفلسطيني، وضد امانيه الوطنية. فقد كانت غالبية مواطني الاتحاد السوفياتي اليهود، تغادر، في السنوات الماضية، الى بلدان الغرب، وبخاصة الى الولايات المتحدة الاميركية، وقلّة منهم، فقط، كانت تتجه نحو اسرائيل. أمّا في الاسابيع الأخيرة، بعد ان وضعت الجهات الاميركية قيوداً على عدد المهاجرين اليهود الذين يمكن ان تستقبلهم، فقد تحدّدت الهجرة الى جهة واحدة، هي اسرائيل (**الحرية**، نيقوسيا، ٤/٢/١٩٩٠).

ولدرس مستجدات الهجرة، ومخاطرها، عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سلسلة اجتماعات في العاصمة التونسية، في الفترة الواقعة ما بين الثلاثين من كانون الثاني (يناير) والثالث من شباط (فبراير) ١٩٩٠، شارك فيها الامناء العامّون للفصائل وعدد من القيادات الفلسطينية، بحثت، خلالها، في موضوع هجرة اليهود السوفيات، والخطر الذي تولّد عنها، وبخاصة بعد الاجراءات الاميركية آنفة الذكر، بهدف تحويل القسم الأكبر منهم الى اسرائيل. وقررت اللجنة التنفيذية البحث مع القيادة السوفياتية في مجموعة من الاجراءات العملية لمواجهة هذا التطوّر (**وفا**، تونس، ٣/٢/١٩٩٠).

وأعربت أوساط صحفية عن ان خطورة الهجرة تتأتى من انها ستكون الهجرة الجماعية الضخمة الاولى، منذ موجة الهجرة التي اجتاحت فلسطين غداة اقامة الكيان الصهيوني في سنة ١٩٤٨. «ويكفي لتبيان هذه الخطورة مقارنة حجم الهجرة المتوقعة ونوعيتها»؛ وانها «تجيء في وقت تتفاقم المشكلة الديمغرافية، ويطرح فيه [موضوع] ' الترانسفير' كحل لهذه المشكلة، وكوسيلة لمواجهة الانتفاضة. وهكذا يمكن لهذه الهجرة، انْ تحققت، ان توازن الزيادة الطبيعية المرتفعة للسكان الفلسطينيين، وربما تتفوق عليها؛ كما يمكنها ان تخلق حاجة ملحة الى تكثيف الاستعمار الاستيطاني في الضفة والقطاع؛ وبالتالي اخراج فكرة ' الترانسفير' الى حيّز التنفيذ» (خالد عايد، **القبس**، الكويت، ٧/٢/١٩٩٠).

وفي هذا السياق، سألت أوساط دبلوماسية عربية: «أليس في وسع الاتحاد السوفياتي ان يتخذ التدابير، والاجراءات بما يمنع، بصورة قاطعة، وصول مواطنيه الى مستعمرات الضفة وغزة للاستيطان فيها؟ ألا يمكن، مثلاً، اشتراط سفر مواطنيه الى غير اسرائيل، كمحطة أولى كي يكون لهم خيار آخر غير الهجرة اليها، خاصة وان معظمهم لا يرغب في ذلك، وانما يجبر عليه عندما لا يكون لديه [خيار] آخر متاح؟» (**الشرق الاوسط**، لندن، ٧/٢/١٩٩٠).

الى ذلك، رأت أوساط صحفية ان هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل هي من أكثر سلبيات الوفاق الدولي انعكاساً على المستقبل العربي، وأكثرها خطورة، «حيث انها تعيد انتاج شروط التوسّع الاسرائيلي في المنطقة، في ظل هيمنة ايديولوجيات توسعّية» (مازن مصطفى، **الحوادث**، لندن، ٢/٢/١٩٩٠).

وأكد سفير فلسطين لدى الهيئات الدولية في جنيف، نبيل رملاوي، ان م.ت.ف. كانت في مقدّم الذين رحّبوا بوفاق القوتين الاعظم، وتفاءلوا